الشكل والمضمـــون في الرمـــوز الفنية

د. عبدالكريم حسن عامر صولة ـ جامعة الزاوية

المُقدمـــــــــــــــة:

مـــارس **الإنسان** الفنـــون التشكيلية بشتى أنواعها منـــذ العصر الحجري القديم فمثّـــل أشكالاً هندسيةً وحيوانيةً وآدمية على مختلف المواد من حجر وطين وعاج وعظام، وسخر هذه المواد؛ لتتحول إلى تحف فنية عن طريق النحت ، أو التشكيل بالعجائن أو الصقل...إلخ.

ويؤثر فن كتابة الرمز بشكل مباشـــر في الحياة الاجتماعية، كما أنه دافع لتوسيع المعارف السياسية والثقافية التي تجعل من الصعب مقاومته من قبل الأفكار المضادة ، وهو أكثر من ورق ملون وانفعال فني مرئي ، وبالتالي فإنه وسيلة مهمة لإيجاد الوعي الفني إلى جانب الوعي السياسي ، فالأشكال الفنية بوجه عام تقاوم التغير ، ولا تزال أشكال من عصور سابقة نجد صداها في العصر الحالي ، وهذا ما نجده في العديد من أنواع الفنون إن كانت بصرية أو تعبيرية أو تشكيلية، فالشكل بمثابة امتداد في المكان يتميّز بحدوده ومظهره ولونه وحركاته وكثير من التفصيلات الأخــرى ، لكن إذا كان الكائن العضوي الذي يشمل على هذه الاختلافات يبدو أنه حسي ، فمن المؤكد أنه ليس هذا التنوع وأشكاله هو الذي يستمد منه وجوده، وفي خضم التطور الهائل الذي يشهده العالم والمجتمعات الإنسانية ، والإدراك المتنامي لأهمية ودور الرموز ، وتبعًا لتلك الأهمية تنوعت الرموز فظهرت بأشكال ومضامين مختلفة بحسب الهدف المراد تحقيقه والفئة المستهدفة بتطور المتجمعات الإنسانية الذي حدث في المجتمعات الإنسانية من اكتشافات علمية واتساع في مجال المعرفة ، كذلك فإن المجتمعات الإنسانية استفادت من فن الرموز لما لعبته من دور فاعل في توسيع المدارك في شتى الاتجاهات المعرفية التربوية والسياسية والعلمية ، ومن مقومات العولمة هناك ظاهرة المرتبطة ، وهي التي تدخل على أهمية التقارب كحالة اجتماعية ثقافية عامة ، ومن الجدير أن نفهم على أنها تحوّل في الممارسة والتقنية والخبرة تدرك بقدر ما يستشعر في الوسائل التكنولوجية المتزايدة للوصول إليها أو الخروج منها.(1)

فإن الشكل والمضمون في الرمـــوز الفنية الناتجة من تفاعل الفرد وإطاره الاجتماعي هو أحد هذه المجالات الفنية التي تحاول توصيل الفكرة وتوصيف العمل

للجميع ومدى تأثيره وطرق وصوله من خلال ثقافة الإنسان وعلمه ، ويعتبر حصيلة الثقافة الشعبية المتراكمة على مدى عمر الإنسانية وما أنجزه الإنسان على مرّ العصور ، وهو يتميز بالأصالة التي لها صفة الاستمرارية ؛ لأنه نتاج لتفاعل الشعب ووحدته ومسايرته للتاريخ على طول و تنوّع مظاهر حضارته، وبما يعبر به الإنسان من أفكار يتطلبها الرمز ومدى نجاح توافقه في التعبير بشكل يلفت انتباه المتلقي ويوصل له مضمون ما تهدف إليه ، ومن الطبيعي أن تأتي كتابات ونقوش ورسومات ورموز إذا كان من المؤرخين الأوائل الذين قد نشروا كتبهم ، حصيلة الثقافة الشعبية المتراكمة على مدى عمر الإنسانية وعلى ما أنجزه الإنسان على مر العصور ، وهو يتميز بالأصالة التي لها صفة الاستمرارية ؛ لأنه نتاج لتفاعل الإنسان في ذلك العهد وهي التي جعلت الحديث بين الناس عن الفن والتاريخ والنقد، فالرمز ليس فن للأميين أو الريفيين من أبناء الشعب ؛ بل هو من إنتاج أفراد ذائبين في المجتمع يشعرون بكل ما هو كائن حولهم ، ينفعلون بكل ما في المجتمع من ثقافة و لغة وفكر ونشاط إنساني .

والرمز شكل يدل على شيء ما له وجود قائم بذاته ، إما رموز دينية ، وإما رموز سياسية وإما رموز اجتماعية. ، والرمز هو فن يوضح السمات ، ويعرف الأسلوب ، أو الطراز بأنه فطري أو تاريخي ، وتتناول الرمز في العمل الفني بالنسبة إلى أسلوب معين أو أساليب معينة ، فقد تكون الأساليب تقليدية أو أساليب أخــرى واسعة النطاق يمارسها فنانون آخرون أو أساليب مزدوجة يختص بها فنان واحد بالذات .[2]

ونظراً للتطور التقني والفني الذي يشهده عصرنا الحالي في مجال وسائل الاتصال والذي حقق التواصـل والتقارب بين الشـعوب بسـرعة مذهلة ، فإن الرمز إحدى أهم وســائل الاتصـــال الإنســـاني ونقل الثقافات ، حيث يحتل الرمز موقعاً مهماً في حياة الإنسـان له شـأنه في نقل وإيصـال الأفكار والمعلومات وتنمية الذوق والحس الجمالي ؛ وذلك من خلال تنوع الوســـائل الفنيـة لجذب الانتبـاه البصــــري وإحداث التـأثير المطلوب عند الإنسان.

كمـا لا يفوتني أن أنوّه إلى أهميـة مـا تقدمـه هذه الدراســـة للفنـانين التشـــكيليين والمبدعين من معـارف نظريـة وتطبيقيـة ، فعليهم جميعـا يقع مســـتقبل تطوير هذه الرموز والنهوض بها ومواكبتها إلى حداثة العصر ومتطلباته التقنية والإبداعية.

وتأتي هذه الدراسة لتكون إضافة متواضعة إلى الدراسات والبحوث التي تطرقت إلى موضوع الشكل والمضمون في الرموز الفنية ، وعلاقته بالفن التشكيلي، ولفهم طبيعة الرمز يجب أن نضعه في إطاره التاريخي والثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي

والتربوي والإعلامي والفني والإبداعي والتفاعل مع الحاضر، والتطلع إلى المستقبل حسب المتغيرات على مر العصور من تطور الحضارات المختلفة.

مشـــــــكلة الدراســـــــة:

إذا كان الشكل والمضمون في كتابة الرموز الفنية واقعاً يعيشه الإنسان البدائي له أسبابه التاريخية والموضوعية وفق سياقاتها التقليدية والتي ظهرت في فنه ذي المنحي الوظيفي والتطبيقي ، فما أسباب نزوع عدد من الفنانين المعاصرين والمحدثين نحو الرمز؟ وما ملامح هذه الرموز في نتاجاتهم الفنية والتي أصبحت معه ظاهرة من ظواهر الفن الحديث؟

عمد الباحث في هذه الدراسة إلى أهمية الرموز وتحديد مفهومها والتعرف على دورها الفني والوظيفي بمختلف تعبيراتها ومضمونها وأشكالها، والتعرف على مستوى القدرات والخبرات والمهارات الفنية والهوية الثقافية، وتكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤالين التاليين:

1. ما المعطيات اللازمة شكلاً ومضمونا في الرموز الفنية؟ وهل تعتبر لغة مشتركة بين شعوب المنطقة العربية حتى أنه ابتكر لها شكل ومضمون ومصطلحات متعارف عليها على شكل رموز؟
2. هل كتابة الرموز كلها محملة بالقيم الوظيفية والجمالية التعبيرية التي يستخدمها الإنسان للتعبير عن أحاسيسه وأحاسيس أهل بيئته و انفعالاتهم ؟

أهداف الدراســـــــة:

تهدف الدراسة إلى:

1. تعريف الكتابة بالرمز شكلاً ومضمونا في الحاضر والمستقبل والعلاقات الفنية والابتكارات والمهارات والالتزام بالعادات والتقاليد الأصيلة والتي تؤكد أن شكل الرمز يحمل معه مضمون وأساليب جديدة وما يحويه من متغيرات ثقافية وسياسية واجتماعية.
2. التأكيد من أهمية شكل ومضمون كتابة الرموز الفنية في الفنون التشكيلية وتحديد معالمها التقنية وإعادة بنائها بصبغة جديدة مبتكرة.
3. التعرف على كيفية تحقيق أفضل السبل والتقنيات وأهداف ووظائف كتابة الرمز.

أهمية الدراســـــــة:

تأتي أهمية هذه الدراسة في الآتي:

1. تسهم هذه الدراسة في تحقيق الجديد المبتكر في تطوير الجوانب النظرية والثقافية في شكل ومضمون كتابة الرموز ودلالاتها الفنية النابعة من أصالة التراث القديم.
2. توضّح هذه الدراسة كيفية الاهتمام بالرمز لما له من أهمية وأثر المتلقي بهذه الأشكال والرموز من الابتكارات والإبداع في تأكيد القيم الفنية والجمالية من خلال التطور الفني الذي يشهده عصرنا الحالي؟
3. تفيد هذه الدراســـة الذين لديهم اهتمامات فنية ونقدية وتاريخية في مجال فن كتابة الرمز على وجه الخصوص وتأتي كمساهمة إضافية إلى المكتبة العربية والعالمية يستفيد منها الطلاب والنقاد والباحثون.

إجـــــــــراءات الدراسة:

الرجوع إلى البحوث والدراسات ذات الصلة بموضوع الدراسة بهدف التوصل إلى توصيف دقيق على كتابة الرمز، تتبناه الدراسة الحالية ، وكذلك التعرف على التجارب والخبرات السابقة في الحصول على معلومات حديثة تتعلق بموضوع الدراسة.

منهج الدراســـــــة:

تم استخدام المنهج الوصفي الذي يتضمن موضوع الدراسة جانباً نظرياً نتطرق فيه إلى الشكل والمضمون قي كتابة الرموز الفنية في الفن التشكيلي .

حدود الدراسة:

تقتصر حدود الدراسة على الشكل والمضمون في كتابة الرموز الفنية في الفن التشكيلي لما له من أهمية تاريخية في الحاضر والمستقبل.

فرضية البحث:

إن عملية اختياري لموضوع الشكل والمضمون في كتابة الرموز الفنية في الفن التشكيلي باعتبار الرمز تطوره وغناه ، فالصورة الأكثر وضوحا لتحديد هوية هذه الحضارة أو تلك ، فالفنون التشكيلية من رسم ونقش وتصوير ونحت وعمارة هي النشاط الإنساني الذي يسد حاجتين أساسيتين تحددان رقـــي المجتمع ، حاجة نفسية ذوقية ، وحاجة جسدية ووظيفية تتناول تشكيلة متنوعة من التجارب والخبرات والعطاءات ، ثم العمل على تحديد خصائص هذا التراث والتوسّـــع في تنظير هذه الخصائص لما يكتنفها من غموض ، لما قام به الرواد الأوائل من أجل البحث وتطوير الرموز، وأن يكون إلى جانب هذا وذاك منفتحا غير استسلامي تتماشى ويقظته كرائد سبّاق لجميع المعطيات المساعدة لتقويم اتجاهه ، وتسهيل ممارسته لذاتيته الثقافية.

الإطار النظــــــــــري للدراســــــــــة:

إن الشكل والمضمون الفني لكتابة الرمز هو محاولة خلق حياة مجسدة في الفن، وجعل المادة تحمل سمات تعبيرية فقوام الشكل الفني هو مبادئ وطرق الاستخدام التعبيري للخواص التي تحوزها الوسائل المادية لإعادة خلق الحياة في هذا النوع أو ذاك من أنواع الفن، ويعتبر شكل الرموز حصيلة الثقافات المتراكمة على مدى عمر الإنسانية وما أنجزته البشرية على مر العصور ، وهو يتميز بالأصالة التي لها صفة الاستمرارية ؛ لأنه نتاج لتفاعل البشر ، ووحدته ، ومسايرته للتاريخ و تنوع مظاهر حضارته ؛ بل هو إنتاج من أفــراد ذائبين في المجتمع يشعرون بكل ما هو كائن حولهم ، ففكرة الشكل كأمر مجرد عن الحقيقة المعدة هي فكرة غامضة ، ويمكن أن تتخذ معاني مختلفة حسب الموضوع ، واتفقوا على أن التاريخ عبارة عن صناعة الإنسان والتدوين لم يبدأ مع عصر الكتابة أو عصر التاريخ ، وإنما بدأ مع الإنسان الأول الذي سجل الأحداث التي مــرّ بها أو تفاعل معها ودون ملاحظاته وأفكاره، سواء على شكل رسوم وخطوط أم صور أم رموز كتابية ، وهو الذي حفظ تاريخه وتاريخ من سبقه؛ لاكتشاف أنواع الأجناس البشرية المنقرضة وتاريخها وحضارتها ، وبالإمكان التماس نفس الاهتمامات للإنسان البدائي في مرحلة حيوية الطبيعة ، إذ كانت الصيغ الفنية ليست صيغٌ جامدة وثابتة ، وإنما هي شكل متحرك يعالج مشكلة التعبير عن الواقع بأكثر وسائل التعبير تنوعاً ، ويؤدّي مهمته بدرجات متفاوتة من الإتقان وتعطينا انطباعاً بصرياً يبلغ من التلقائية ، ومن نقاء الشكل والتحرر من كل تأنق أو قيد عقلي ما لا نجد له أي نظير في تاريخ الفن ، إلاّ عند حلول النزعة الانطباعية الحديثة.

ويعتبر الرمز من الفنون التي تلازمت مع الإنسان منذ أن وطئت قدماه الأرض فهو الدعامة الأساسية لكل الفنون الأخرى التي عرفها الإنسان الأول في العصور الحجرية ، بل هو من إنتاج أفراد ذائبين في المجتمع يشعرون بكل ما هو كائن حولهم ، ينفعلون بكل ما في المجتمع من ثقافة ولغة وفكر ونشاط إنساني، وقد وظف الإنسان في أولى محاولاته الفنية الخطوط بشتى أنواعها تارة مستخدما أصابعه لرسم الخطوط ، وتارة يستخدم فرشاة صنعها بنفسه من لحاءات الأشجار ، واستخدم الفنان البدائي تلك الرسومات وحولها إلى رموز وهى عبارة عن مجموعه من الأشكال فاستخدم كل ما يقابله في الطبيعة لكى يحوله للرمز يضيف إلى رسوماته الواقعية ، أو أن يكون فيها شيء غير معقول أسيء رسمه ، لقد كان اكتشاف البدائي بمساعدة أدوات علمية معقدة ، ولكن هذه المقدرة كانت قد اختفت عند حلول العصر الحجري الحديث ، عندما

استعيض عنه إلى حد ما عن الطابع المباشر للإحساسات بجمود النزعة التصويرية وثباتها .[3]

فالرمز إذاً تلخيص بلغة الأشكال لفكر وعقيدة الإنسان ، وتعبير عن أحاسيسه نحو بيئته وهي عادة تمثل أحاسيس وانفعالات وأفكار وعقائد ووجهات نظر الإنسان في ذلك الوقت ، وهذه النقوش والرموز التي كانت ترسم على الأحجار تارة و الفخار تارة أخرى نراها تختفي تدريجيا حيث إنها الأصول الرمزية والأساس عند الانسان القديم ، فكل رمز له معنى وأسطورة لها علاقة بحياته ، ومعتقد ينم عن أسلوب حياة وتكوين شخصي له ، فقد كانت الرموز هي حيــاة الإنسان بكل ما بها من علوم وفنون وحياة ، فالرمز من الناحية الفنية لغة تشكيلية أصيلة يستخدمها الفنان الشعبي للتعبير عن أحاسيسه وأحاسيس أهل بيئته وانفعالاتهم نحو ما يهز مشاعرهم من أحداث أو معتقدات أو أفكار من الرموز التي رسمها الفنان للتعبير عن معاني إنسانية معينة أو قيمة من القيم الأخلاقية سواء الإيجابية منها كمعاني الحب والخير والشهامة و البطولة أم السلبية كمعاني الكراهية، والحقد، والشر...إلخ.

الرمـــــوز والإشـــــارة والعلاقة بينهما :

من خلال بعض الدراسات يؤكد العلماء أن الإشارة اعتباطية بينما الرمز سببي، فهناك علاقة سببية بين الرمز وما يهدف أو يشير أو يُعبر عنه مثل ما بين الميزان والعدالة أو الهلال والإسلام ، أما الإشارة فهي شيء يحل محل شيء آخر في جانب معين من الصفات ، والإشارة تقوم مقام شيء ما وهو الذي تمثله من بدائية الأسلوب، وحرارة الألوان المعبرة عن عنفوان الحماس ووحشية الانفعال ، وهو فن تقوم أسسه ومبادئه على الدوافع الغريزية التي تكشف عمّا يحتدم في أعماق الفنان من صراع قائم بين الفكرة المتحررة التي تهدف إلى البساطة والنقاء وتشويه الأشكال وتحطيم الخطوط – التي جرى الاشتغال عليها سابقاً – وبين ما ينوء تحت ثقله من ضغوط اجتماعية شتى ، مقدمة بأنموذج تشكيلي جديد.

إنَّ السمة البارزة للوحشية هي التعبير التلقائي المباشر، والاهتمام بالفكرة التي يجسدها الشكل المبسط ذو الخطوط المرسومة بسرعة دون تفكير معمق أو تعقيد ، فاللون العفوي أخذ يدعم الشكل ويقوم مقام الخطوط في تحديد الشكل ، وهو لون اصطلاحي مستقل عن الصورة الظاهرية التي أخذت صفة الإشارة ، ووظيفة أكثر شمولية ، لقد وضع اللون مباشرة دون تخطيط سبق للمساحة التي سيشغلها[4]

والأسلوب المباشر في التعبير عن الرمز يلتقي في مواضع عدة مع الطريقة العفوية التي كان يتبعها الفنان البدائي في الرسم ،كما يلتقي كلا الفنين في خضوعهما لسلطة الحس لا العقل وبحثهما عن التعبير الآني المباشر لا عن التكامل والبناء ذي النزعة المحاكاتية ، وهو ما يكشف لنا ذلك الحنين ألا متناهي لتلك الأوضاع البدائية ذات السمة الطفولية ، وعن شوق إلى تلك الحالات الأكثر صفاءً وصدقاً.

متغيرات الثقافة الاجتماعيـــــــــة:

إن الإنسان يستجيب لمتغيرات الثقافة الاجتماعية والحضارة البيئية على تتابع كتابة الرمز بأشكال جمالية مناسبة تختلف عما كان سائداً في الماضي ، كأنه في مجتمع جديد ، وهو ما يعبر عنه بعض الخبراء بوظيفة الاتصال بالقــراء على أساس الرموز الذي يشتمل عليها التركيب البنائي لعمل فني ، له أهمية متميزة في عملية التذوق ، إذ أن له دورا في ربط مراحل التجربة الفنية وتوحيدها أو الإيحاءات ، وذلك إن أحد التأثيرات الأساسية للألوان هو ما تثيره من أفكار ، فاللون يعبر عن فكرة أو مجموعة من الأفكار معتمدا على التجارب والخبرات السابقة للأفراد ، بل إن الرمز يطرح معياراً آخر للقيمة الفنية ، يأتي من الاتحاد المستمر بين المتنافر وغير المألوف ، وبين الرفيع والمهيب ، وبالرغم من هذا فقد وجد في هذا العصر ممن يمقتون فكرة الرمز في الفنون .

والتطور في فنون الرمز يُعد جزءاً مكملاً لتطور العالم ، بما في ذلك تطور العقل والمجتمع والحضارة كل الدلائل تُشير إلى أن الرموز في عصرنا الحالي تميل إلى الارتقاء والتبدل ، وليس فقط في شدة التنوع في الصياغات التي جسمتها هذه الفنون ومن الحديث عن العلامة الرمزية وما قدمه العالم "مورس" بأن هناك علاقة في الشكل والعمق وفي الحركة التي يحدثها أي شكل أو ما يسمى الرمز ، وعلاقة العلامة أي العلامة التي تنتج قصد النيابة عن علاقة أخرى مرادفة لها.(5)

وكتابة الرمز لا يعتمد على الإعجاز، أو التدخلات الغيبية الفرضية ، كما أنه لا يعتمد – أيضاً- على إمكانيات إنسان عاقل حكيم إلى حدّ إحداث ذلك التطور بالتخطيط الواعي ، ويتعارض ذلك التطــــور من خلال القيمة الفنية ومعيار الفكر الفني تعارضاً كاملاً ، مع البساطة المنسقة التي اتسمت بها الفنون مدة طويلة والتي هي في كثير من الأحوال رتيبة في تناسقها وانسجامها وفي تكرارها لكل ما هو جميل ، أو على أساس التقدم التكنولوجي أو انعدامه ، بل يجب أن تصاغ بطريقة أكثر شمولية وإحاطة وضمن الإطار الثقافي للمجتمع ، وبالتالي فلهذه المفردة إذ أثبتت الدراسات أن الإطار الثقافي الذي يعيش فيه الإنسان هُوَ العنصر المتحكم في هذا العقل والمحدد له ، وهناك اتفاق عام في

الوقت الحاضر على عدم وجود تمايز في القدرة العقلية (الذكاء) بين بني البشر سببها الاختلافات العرقية ، وهذا يدفعنا إلى القول بعدم وجود شيء اسمه الإنسان أو العقل بمقابل الإنسان المتحضر ، بل وجود بشر يعيشون في ثقافة أو مجتمع بدائي ، ولذا أصبح انعدام التطور يعزى إلى انعدام الفرص المناسبة، لا إلى العجز الطبيعي فضلاً عن الانعزال الذي يؤدي إلى غياب التوافق الفكري وندرة الاتصال مع الشعوب الأخرى.(6)

الشكل واللـــــون في كتابة الرمز:

من خـــــلال ملاحظة الرموز الهندسية المتوفرة في الأشكال الممثلة في الفن الصخري الصحراوي اتضح لنا أن الحروف الليبية البربرية استمدت أشكالها من هذا الإرث الفني ولا يمكن في أي حال من الأحوال أن تكون قد جلبت من أي كتابة أخرى، حيث إن حروفها هندسية الشكل تتكوّن من خطوط متوازية ومتقاطعة ونقاط و دوائر ومثلثات إلى غير ذلك من الأشكال المتواجدة في الفن الصخري ، فالبعض منها استعملت كما هي مباشرة وبعضها الآخر طرأ عليها شيء من الاختزال؛ فالبقع المنحوتة مثلا تحولت إلى نقاط وخطوط متوازية ومتقاطعة.

إذاً فلا بد وأن يتخذ الشكل طابع الشكل المتسق مع نفسه القابل للإدراك ، وكأنما هو موجود طبيعي له وحدته العضوية واكتفاؤه الذاتي ، ولا يكون العمل الفني جيدًا أو رديئًا خصبًا أم,جدبًا إلا باعتباره" مظهرًا ،أو ظاهرًا ، وتعبيرية الشكل تأتي من خلال رموز تشير إلى معان لا مجرد علامات على أشياء أو عوارض خارجية لبعض الحالات النفسية ، ومعنى هذا أن التعبير الفني ليس مجرد استجابة تلقائية لموقف حاضر أو لمؤثر واقعي بل هو شكل رمزي يوسع دائرة معرفتنا ،ويمتد بها إلى ما وراء مجال خبرتنا الواقعية أو دائرة ، والعمل الفني ليس مجرد إسقاط الفنان لعواطفه وعالمه الروحي على الموضوع ، بل الفن يعطي معرفة صحيحة بالموضوع ومعيشة، وحين تصبح الطبيعة بالنسبة للفنان موضوع نسخ أعمى وحين تذوب في نزوات العواطف الذاتية يبدأ الفن في الانحطاط ، فالموضوع الرئيس للفن بكل أنواعه وأشكاله هو الإنسان في علاقاته وصلاته بالواقع وبقدر ما تكون هـــذه العلاقات والصلات متنوعة يدخل في دائرة الفن كل تنوع العالم المادي ، فالفن يُعطينا لوحة كاملة للحياة الاجتماعية.

ويجب أن يكون المضمون قابلا للتعبير عنه بواسطة الفن ، وبدون ذلك فإننا نحصل على فن رديء ، ويجب ألا يكون فيه شيء مجرد ولا يجب أن يكون هذا المضمون محسوساً وعينياً في مقابل ما يشارك في الروح والفكرة فقط ، بل – أيضًا- في مقابل

المجرد والبسيط في ذاته؛ لأن كل ما يوجد في الروح وفي الطبيعة هو عيني، وعلى الرغم من كل عمومية فإنه ذاتي وجزئي ، فلابد أن يكون هذا الشكل فرديًا وعينيًا في جوهـــــره؛ لأن الصفة العينية لكلا جانبي الفن المضمون والتصوير هي التي تكون نقطة الالتقاء بهما ونقطة التناظر.(7)

إذن الفكرة المتحررة ترمز إلى أشكال معينة في مضمون العمل الفني التي تهدف إلى البساطة والنقاء وتشويه الأشكال وتحطيم الخطوط التي جرى الاشتغال عليها سابقاً ، وبين ما ينوء تحت ثقله من ضغوط اجتماعية شتى ، مقدمة بأنموذج تشكيلي جديد ، فإنَّ السمة البارزة للرمز هي التعبير التلقائي المباشر ، والاهتمام بالفكرة التي يجسدها الشكل المبسط ذو الخطوط المرسومة بسرعة دون تفكير معمق أو تعقيد، فاللون الذي كان عفوياً أخذ يدعم الشكل والمضمون ، ويقوم مقام الخطوط في تحديد هذا الشكل أو ذاك ،وهو لون اصطلاحي ، مستقل عن الصورة الظاهرية التي أخذت صفة الرمز ووظيفة أكثر شمولية ، لقد وضع اللون مباشرة دون تخطيط سبق للمساحة التي سيشغلها. فالألوان يمكن أن تستخدم في التعبير عن رموز معينة وذلك على النحو التالي:

أ. الألوان الزرقاء والخضراء توحي بالاسترخاء والفراغ والبرودة نظرًا لارتباطها بلون السماء والبحر والأشجار والزرع.

ب. الألوان الحمراء والبرتقالية ترمز إلى الدفء والحرارة فهي تمثل النار والحركة والانفعال كما تخلق أفكارا معينة كالخطر والعاطفة والحيوية.

ج. الأصفر لون براق يوحى بالدفء؛ ولكن بدون حرارة.

د. اللون البنفسجي يوحى بالصدق والاحترام والعاطفة.

هـ. اللون الذهبي والفضي يوحي بالثراء والرفاهية.

و. اللون الأســود يوحي بالقوة والجوانب الرسمية ، وكذلك بالإحباط والظلام.

ى. اللون الأبيض يُوحي بالسلام والنقاء والحياء والنظافة والضوء.

إذا ما اعتبرنا بأن المضمون في الشكل والمضمون هو القاسم المشترك لجميع أنواع الإنتاج الفني وإن كان الفن لا يقوم على الفكرة فحسب ، والمضمون ليس وحده هو الذي ينهض على أساسه الفن وأن ما يحدد هذا المضمون هو المستوى الثقافي الذي وصلت إليه المجتمعات التي ينتمي إليها الفنان ، فالمضمون اجتماعي وتاريخي كما أن المضمون يعتبر حاملاً للأيدلوجية ومن الصعب استنتاج المضمون من الموضوع ، فانعكاس الواقع في الفن ليس كانعكاس الصورة في المرأة ،بل هو عملية معقدة تتضمن نشاط الفنان ورؤيته للعالم ووعيه ،فالإنسان المكون الرئيس للحياة الاجتماعية والتي

من خلالها يتم التفاعل الاجتماعي والثقافي والتي تفرز لنا موضوعات إنسانية مختلفة ومتعددة ،تكون المحور الرئيس للمضامين الفنية والإبداعية.

البيئة وأثــرها على شكل كتابة الرمـــــوز:

لقد تعددت الآراء والمذاهب الفنية حول ماهية البيئة وأثرها على شكل الرموز إن كان من حيث التعريف والقيم الناظمة له ،ويعود السبب إلى العديد من العوامل والمتغيرات التي طرأت عليهما ،ونظرًا لطبيعة مكونات الشكل والمضمون وما تحمله من متغيرات فيزيائية طبيعية أو اجتماعية اقتصادية أو سياسية أيدلوجية ،وللوقوف على تلك العلاقة والعوامل والمتغيرات البيئية ذات مظاهر متغيرة ومتعددة باعتبارها شيئاً غير ثابت بالنسبة لجميع الفنانين، فالتفاعل بين الفنان والبيئة يبدو واضحاً فى أسلوب التعبير الفني المميز لشخصيته ، فالفنان تؤثر فيه عوامل البيئة المحيطة به ، وتحفزه للاستجابة الجمالية ، وتحرك كيانه الداخلي وبطبيعة الحال ينعكس على شكل إنتاجه الفني ، فالمظاهر الطبيعة ومرئياتها ، والمتأمل في التراث البشرى الهائل يلاحظ كيف ترجم الإنسان البيئة والطبيعة بالرموز الفنية من خلال كشفه للعلاقة والتوافق والتباين في إنتاجه، وقد كان بداية هذا الحوار بين الفنان وبين البيئة والطبيعة منذ الفنان البدائى ،والذى استمر التفاعل بينهما حتى يومنا هذا مما أدى إلى ثراء لا حدود له فى إبداعات الفنانين المعاصرين ،فظهرت عناصر البيئة والطبيعة فى تناولها الجديد الملئ بالمشاعر؛ لاندماجها فى علاقات جديدة.[8] ، والتي أحاطت بالفنان القديم والحديث ، واستقباله لكثير من المؤثرات التراثية التى تُقدمها له بيئته جعلته يتفاعل مع أدواته بالشكل الذى يتناسب مع استجاباته ، فتتحول هذه المعارف إلى موضوعات جمالية ، فلا بد وأن يتخذ شكل الرمز طابع الشكل المتسق مع نفسه القابل للإدراك وكأنما هو موجود طبيعي له وحدته العضوية واكتفاؤه الذاتي ، ولا يكون العمل الفني جيدًا أو رديئًا خصبًا أم جدبًا إلا باعتباره مظهرًا أو ظاهرًا ،وتعبيرية الشكل تأتي من خلال رموز تشير إلى معان لا مجرد علامات على أشياء أو عوارض خارجية لبعض الحالات النفسية ، وليس من المستغرب أن يكون الشكل أكثر الكلمات غموضًا في لغة الفن ،لما للشكل من قدرة على القيام بوظائف متعددة في الفن كونه مصدرًا لقيم تباينه هو نفسه الذي يجعل هذا اللفظ مستعصيًا على التعريف.

ومعنى هذا أن شكل الرمز في التعبير الفني ليس مجرد استجابة تلقائية لموقف حاضر أو لمؤثر واقعي، بل هو شكل رمزي مستمرة للكشف عن الأسرار الكامنة فيها ، وقد جاءت الحقيقة وليدة لحاجة الإنسان ، وسعيه لتأكيد وجوده المرتبط بقانون التطور

والتغير ، وهى الأفكار التي يقوم عليها الكون بكل ظواهره ، فليس من الخير أن ينعزل الإنسان أو الفنان عن الرموز والتجارب التى ورثها عن تفاعله معها في زمن معين ، فهو الحقيقة النبض الذى يعكس الحياة فى البيئة ويجسدها ويخلدها في أعماله الفنية ، ولولا عناء الفنان وتفانيه لما دخلت حضارات ولما ظهرت تلك الآثار الفنية التى أوضحت حياة الإنسان وعقائده وأذواقه وآرائه عبر العصور[9].

والشكل من الناحية الذهنية جزء جوهـري لفـن الرمز وأحـد المصادر الرئيسة للتعبير بثقافة العلوم والمعارف والفنون الأدبية والفنية والموسيقية ، وجوب التخلص من الوسائل التقليدية المرتبطة بالعملية الفنية التي كانت تتعلق بالمسائل الحيوية في حياة التنقل والترحال التي يعيشونها فإذاً من طبيعة الحياة ، ويضاف إلى ذلك ما يجري بينهم من أحداث يتناقلون أخبارها وما يتوفـر للبدو من معارف في الفراسـة والقيافة والكهانة والعيافة ومعرفة الأنواء ، وقص الأثر ومواقع النجوم وتحركاتها ، ليس سوى خبرات حيوية تقتضيها ظروف المعيشة ،وذلك أن البداوة وما يرافقها من تنقل وعدم استقرار لا يفسح مجالاً للعلم والثقافة للنشوء والتطور.

القيم الثقافية والتقنية في كتابة الرمـــــز:

دخلت الحياة الحديثة بما تتضمنه من وسائل ثقافية وتقنية إلى حياة الإنسان عبر مسارب عـــدة حيث إن الدول ،لاسيما النَّفطية منها ، شجعت الإنسان على هجر حياة التنقل والترحال عن طريق توفير وسائل الاستقرار المادية ، إذ فتحت لهم مجالات واسعة للتعليم ، وبالتالي وجد كثيرون منهم مـــن متعلمين وأشـــباه متعلمين فرصاً واسعة لدخـــول مجزية عن طريق الانخـــراط فـــي الوظائف الحكومية ، وفي سلكي الجيش والشرطة ، وقد تخلى كثيرون منهم عن تربية المواشي والإبل ، إلا إذا كان ذلك على سبيل الهواية ، فقد استخدموا السيارات والشاحنات بدل الإبل ومهروا في قيادتها فعلينا أن ندرك أن تذوق القيم الثقافيـــة والتقنية للرمز ليس بالأمـــر الميسور ، إذ أنه يتطلب موقفًا جماليًا مرتكزًا على التركيز والانتباه ، كما أن الرمـــز رغـــم كل شيء يعد أكثر جوانب العمل غموضًا وخفاء ، والعمل الفني المميز غالبًا ما يعكس فكر وعمق في الطرح والتناول على مستوى الثقافة والتقنية والتعبير الجمالي ،ومن أجل فهم العمل الفني يجب علينا امتلاك ثقافة واسعة ومتخصصة في نفس الوقت بهدف الوصول الى قراءة صحيحة ونقد فني تذوقي في أعلى مستويات الفن والجمال ويبقى العمل الفني الذي يمكنه الصمود والبقاء بسبب ما فيه من جمال وفكر ورؤية تضمن استمراريته على مدار عقود كشاهد على قوة التفكير وعمق المعنى في الأعمال الفنية التشكيلية والأعمال

الفنية الأصيلة تجعلنا نقف أمام عمل إنساني والتوسع في جميع مجالات الفنون التشكيلية المختلفة.

إن قيمة شكل الرمز لا يمكن أن يدرك أو يتم تذوقه إلا بشروطه الخاصة وعلى أرضية خاصة ، فمن المحال أن يترجم إلى كلمات أو على نحو آخر ، ومن هنا فإن الاستمتاع بقيم الشكل يقتضي بصيرة جمالية على التخصيص فلابد أن يكون المشاهد قادرًا على الاستجابة حتى لو لم تكن تجربته غير الجمالية قد هيأته لذلك ، ويبين القيم الحديثة التي برزت نتيجة دخول المجتمعات البدوية عصر التقنيات الإلكترونية ، وإذا كان من السهل التعامل مع الوسائل المادية التي جلبتها الحضارة الحديثة واستعمالها ، فمن الصعوبة بمكان تبني ما يرافق هذه الوسائل من قيم وثقافة غريبة وطارئة على العقلية البدوية النمطية ، ولهذا يمكن الاستفادة من الأصالة والحداثة في ميدان تعليم البدو تمهيداً لنقلهم إلى مجتمع القرن الحادي والعشرين ، وفي الوقت ذاته يجب التأكيد على بناء استراتيجية لتعليمهم على أسس من قيمهم وعاداتهم السائدة؛ لأنها أصيلة لديهم ،كما يجب عدم التصدي لتلك القيم والعادات مباشرة لتغييرها ، بل لابد أن يكون ذلك عبر تقدم تدريجي ،بحيث لا يقتصر التعليم العرضي على المعلومات والمهارات، بل يتناول تدريجياً القيم والعادات؛ لأن تطور المعلومات والتقنيات يتسم بالسرعة الفائقة ، بينما يتسم تطور القيم والعادات بالبطء الزائد ، وهذه معادلة يصعب حلها في وقت قصير.

المضمون والعـــــادات والتقاليــــــد في كتابة الرمــــــوز:

إن مصدر مضمون الفــن هو نظرة الفنان التأملية الأيديولوجية إلى العالم بصفتها وعيًا انفعاليًا وموجهًا اجتماعيًا ومكونًا في غمرة الممارسة الحية للعلاقات الاجتماعية.

فاعتبرنا أن المضمون هو القاسم المشترك لجميع أنواع الإنتاج الفني وإن كان الفن لا يقوم على الفكرة فحسب ، والمضمون ليس وحده هو الذي ينهض على أساسه الفن وأن ما يحدد هذا المضمون هو المستوى الثقافي الذي وصلت إليه المجتمعات التي ينتمي إليها الفنان ، فالمضمون اجتماعي وتاريخي ، ويعتقد عدد غير قليل من الفلاسفة أن المضمون يكون في متناول الكثيرين لذا فإن الفن ـ اعتمادًا على مضمونه ـ قد استخدم كأداة في يد الساسة ورجال الدين ، واعتبروه موصلا لأفكارهم أو حاملا لها، وقد أدّى ذلك في أحيان كثيرة إلى ابتذال الفن وتسطيحه وتحوله إلى مجرد أداة، وإلى تذويب الفــوارق بين المبدعين في الفن ، وللفهم الصحيح للتناقضات التي تبرز في مضمون الأعمال الفنية يقتضي منا أن نفرق بين شكلين من أشكال التفكير. فإن مصدر مضمون الفن هو نظرة الفنان التأملية الأيديولوجية إلى العالم بصفتها وعيًا انفعاليًا

،وموجهًا اجتماعيًا ومكونًا في غمرة الممارسة الحية للعلاقات الاجتماعية. وأثر العولمة في الفنون التشكيلية وخاصة العربية منها باعتبار أن العولمة فكرة أيديولوجية قائمة في أغلب نقاطها على عنصر الهيمنة على الآخر ، إن الحقبة العولمية التي تسود عالمنا تسعى لتدمير العقل الثقافي الإنساني وخصوصيات الأفراد والانتماء والهويات والتي تعمل باستمرار على تنميط الفن التشكيلي في قوالب سكونية جامدة كلغة بصرية محكومة بأشكال جبرية مكرسة لمفهوم ايديولوجي عدمي يفقد المدركات البصرية الجمالية وجودها وجوهرها وإقصاء للذات وخصوصية المكان والموروث الحضاري والثقافي في فلك العولمية وميادين الفن السطحي للمضمون الساذج والمبتذل والملغية للتعبير الداخلي والإحساس الإنساني لقيم الجمال والخير أما بالنسبة للمعتقدات والمفاهيم أن مصدرًا لمضمون الفن ، وحافزًا للإبداع الفني ، فالفن إطار آخر غير الأطر النظرية الفكرية ، وإن كان ليس بمعزل عنها تماماً ،فهو يتأثر بها ، وتلعب هذه الأطر دورًا بارزًا في التأثير على الفنان والعلاقة عادة ما تكون بين هذه الأطر النظرية والفن علاقة غير مباشرة ، وإذا كان للمضمون الأيديولوجي للفن أهمية كبرى فإن خصوصية المضمون هذه تنبثق من خصوصيته الإبداعية التي تعبر عن نفسها بإنشاء الصورة الفنية ولقد رأى" جورج لوكاتش " في معنى الواقعية المعاصرة" أن المضمون يحدد الشكل وليس هناك من مضمون إلا وكان الإنسان ذاته نقطة البؤرة فيه ، وإن المضمون هو الذي يجدد الشكل وذلك على اعتبار أن هذا المضمون يضع في مركزه الإنسان الذي هو أساس هذه الحياة ويصر أيضًا" لوكاتش "على أن تأكيد الأمور الشكلية تأكيدًا جامعًا مانعًا من الممكن أن يؤدي إلى سوء فهم خطير بطبيعة عمل الفنان).[10]

الاعتقادات الاجتماعية والسياسية المتعلقة بكتابة الرمز:

إن الإنسان المكون الرئيس للحياة الاجتماعية والتي من خلالها يتم التفاعل الاجتماعي والثقافي والتي تفرز لنا موضوعات إنسانية مختلفة ومتعددة تكون المحور الرئيس للمضامين الفنية والإبداعية ، وما كان يتخيله الإنسان القديم عن الكتابة يتضح أن الاعتقادات السائدة آنذاك لم تكن إلا نتيجة للتغيرات التي أتت بها هذه الأخيرة .فالانتقال من الثقافة الشفهية إلى الثقافة المكتوبة كان يعني أن الأشخاص الذين يمارسون الكتابة ،أصبحوا يكتسبون وسيلة لتخليد الأحداث والاتصال مع عالم الآلهة والأرواح المسيرة لقوى الخير والشر، وبظهور الكتابة أصبحت اللغة تعبر بصمت عن الكلمات وفي بعض الأحيان تكون النصوص في صيغ رمزية لا يفهمها إلا أصحاب العلم المقربون من الحكام و الآلهة ،أو الآلهة أنفسهم، وهكذا أصبحت ماهية الكتابة تتمحور حول معادلة

التخليد التعبير الصامت الشيء الذي أدى إلى تقديسها في أوساط المجتمعات القديمة فنتج عن ذلك خيال لا حدود له ومواضيع مرتبطة بجل المجالات المتعلقة بالكتابة.

ولقد عرف الإنسان الفنون منذ أن سجيل تاريخ وجوده على هذه الأرض ،فن الرموز والصور والرسوم التي سجلها الفنان البدائي على جدران الكهوف أنتجها قبل أن يعرف كيفية إقامة مأوى لنفسه ،ففي هذه الكهوف توجد رموز مرسومة بالأصبع على الطين وتمثل بعض الحيوانات في بساطة وتجريد ،وبعضها ملون باللون الأسود أو الأصفر أو الأحمر ،كما توجد كفوف بشرية عملت بوضع اليد على الحائط بعد بخ اللون على اليد ورسم خطوط حول اليد ولم يقتصر التصوير في العصر الحجري على هذه الصورة البدائية، بل تطور إلى ملاحظة التناسب ولعل حالة الاستقرار النسبي التي عشاها الإنسان الأول على ضفاف الأنهار والوديان خلقت لديه حالة من الفكر التأملي ليصبح أكثر شغفًا في البحث في القيم الجمالية للأشياء.

إنّ العادات والتقاليد كثيرة أكثر من أن تحصى ، انتقل بعضها بالتسلسل من الآباء إلى الأحفاد ، وحوفظ عليها كما لو كان شِرْعَةً لا يصح الإخلال بها، وبعضها نشأ بحكم الضرورة القاهرة ، من شظف العيش وضيقه ، وقساوة البادية ، ومرارة العيش فيها. وتمارس تلك الأعراف والتقاليد ضغطاً اجتماعياً على جميع الأفراد ، فلا يستطيع أحد التحرر منها ، وإلا فإنه يعرض نفسه للاستخفاف والازدراء ، وللعقاب أحياناً ، وللنبذ أحياناً أخرى ، وربما يضطر إلى الهرب خارج العشيرة أو القبيلة. وهذا النمط المحافظ الثابت أدى إلى استمرار عادات وقيم وبقائها على ما هي عليه منذ ما قبل الإسلام حتى اليوم ، وتطور مفهوم الشكل والمضمون وفق العادات الاجتماعية والسياسية قد لا يعني رقياً وازدهاراً بل ربما كان انحطاطاً وانحداراً خصوصاً إذا ما تم الاعتماد على المعنى الزمني التاريخي لتطور العالم الغربي متطوّر في مجال العلم والتكنولوجيا إلا أنه كثيراً ما يكون منحطا ثقافياً ، وعليه فإن العادات الاجتماعية والسياسية لم تكن دائماً بالتأكيد عاملا للتطور والارتقاء بالمضمون والشكل في العمل الفني بقدر ما كانت عاملا مؤثرا في التحويلات والتغيرات التي طرأت عليهما. أي : أن العلاقة لا تشكل إلا نتيجة التفاعل مع الواقع ولذلك نلاحظ أن مادة الفن هي الإنسان في منظومة علاقاته الاجتماعية وما يحيط به من بيئة طبيعية واجتماعية ،ولعل شخصية الفنان في خواصها الاجتماعية والنفسية وفي رؤيتها وتجسيدها الفني للعالم وفي علاقاتها بالمتطلبات الجمالية للمجتمع ، تشكل مركزًا رئيسا وثقلا أساسيًا في دراسة قضايا الفن الجذرية ،وأن العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يعمل في ظلها الفنان تصبح عادة المادة

الأساسية لإبداعه الفني، بالإضافة إلى مميزات شخصية الفنان ورؤيته الفنية والفكرية ومفرداته الجمالية وكذلك في دراسة المضمون الموضوعي لنتائج الفنان ومدى انعكاس الواقع فيه وإشكالياته وخواصه الفنية وتوجهه الفكري الجمالي(11).

فالمضمون والشكل في العادات الاجتماعية والسياسية في أشكال العمل الفني أخذت أشكالا عدة في حركتها وتطورها عبر الأزمنـــة ، وذلك انعكاس طبيعي لحركة التطور الإنساني على كافة الاتجاهات الفنية ، ولعل تطــور الاتجاهات والمدارس الفنية وحملها لصفة الحداثة لم يأت من فراغ ؛ بل هو وليد شبكة عريضة من العوامل التي ساعدت في وجودها وتحديثها مما كان له أثر واضح على أشكال ومضامين العمل الفني، ولعل التطور العلمي والصناعي والتحولات الاجتماعية أسهمت في ظهور وصياغة اتجاهات ومدارس فنية مختلفة أثرت بدورها في تحديد أشكال ومضامين العمل الفني ، وكيف بدت الآلة والتكنولوجيا مثـــلا أعلى للعصر الحديث فهي إذًا أحدثت انقلابًا في البنية الاقتصادية فزاد الإنتاج وزادت المؤسسات وغير ذلك من الظروف الاجتماعية وسيطرت التكنولوجيا على الفن المرئي بشكل أقوى من سيطرتها على الفن المكتوب ، مما أدّى إلى انضمام الخيال التشكيلي إلى الشـــكل الجديد المختلف عن الطبيعة وهـــو شكل الآلة لكي يعبر الفنان التشكيلي والسينمائي عن عالم المرئيات الذي لا حدود لطرافته ، ولعل دخول التكنولوجيا إلى جميع مناحي الحياة جعلها تدخل إلى عالم الفن، لما تحمله من ميزات وصفات مختلفة كالدقة والحساسية وتبسيط وتسهيل نتاج العمل الفني فاستطاعت أن تفتح آفاقًا جديدة في عالم الفن والإبداع ، وكان لها الأثر الواضح والكبير في مجال الفنون وخاصة التطبيقية منها.

تطـــــوّر كتابة الرمز شكلاً و مضمونا :

يُعتبر تطور كتابة الرمز خطـــوة عملاقة في تاريخ الحضارة الإنسانية حيث إنها تعادل معظم الاكتشافات الكبرى التي غيرت مجرى حياة البشر ،مثل اكتشاف الزراعة ،والتحكم في استعمال النار واختراع العجلة ،فالكتابة ساعدت الإنسان على تنسيق أفكاره مع أفراد المجتمع دون اللجوء إلى الحضور المستمر والاستعمال الدائم للنطق ،كما أنها ساعدته على التجسيد المادي للأفكار وتخزينها كاملة غير منقوصة، فالكتابات ترافقها بقايا أثرية مختلفة أدوات حجرية ،قطع فخارية...إلخ ، وتعود إلى العصر الحجري الحديث متناثرة على شكل مواقع سطحية في محيط الواجهات الصخرية الحاملة للكتابات كما نجد هناك معالم جنائزية ذات أشكال مختلفة تعود إلى نهاية العصر الحجري الحديث أو لفترة فجر التاريخ ويمتد تواجدها إلى الفترات ما قبل الإسلامية

،وهي تحتل أحيانا نفس المحيط الذي تتواجد به حوامل الفن الصخري و الكتابات من واجهات صخرية و مخابئ، فإذاً تلعب الكتابة العربية حاليا دورا وجوديا في العالم الإسلامي؛ لأنها تعبر عن العربية الفصحى المفهومة لدى جميع قرائها مهما اختلفت بلدانهم ولغاتهم و لهجاتهم المحلية.، وأدّت قدسية اللغة العربية لكونها لغة القرآن الكريم إلى تطور الكتابة شكلا و مضمونا ففن الخط العربي الذي أبهر العالم بجماله.، وتدوين القرآن الكريم أو كتابة أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين أو اسم الرسول محمد - صلى الله عليه و سلم - والصحابة عملية لا تحــق إلا للمتقين الطاهرين ، والمكلفين بهذه المهمة من الكتاب الخطاطين يكون انتقاؤهم من بين أبرز المتقنين لتقنيات فن الخط العربي في بعض الأحيان تتم العملية على يد الحكام أنفسهم، وما تقدم ما هو إلا نظرة وجيزة على مكانة الكتابة العربية في أوساط المجتمع.

وتطـــوّر الكتابة الذي عرفـــه الفكر البشـــري عبر الأزمنة ناتج عن ظروف بيئية وفيزيائية وبيولوجية واجتماعية ونفسية لعب اكتساب التقنية إثره دورًا فعالًا فبامتزاج التحكم في التقنية والاتصال تولدّت لدى الإنسان قدرة على تجريد الأشياء وعرفت البشرية تطـــوّرا تدريجيًا على المستويين الاجتماعي والتقني ، وسرعان ما تبينت محدودية الذاكرة و الكلام في تخزين المنتوج الفكري وإيصاله ، فأصبح التجسيد المادي للأفكار والتعبير عنها ضرورة ملحة فهكذا نشأ التخطيط الفني كخاصية إنسانية يعتمد أساسا على معادلة الرؤية -الوجه و اليد -التخطيط ، فكتابة الرموز عبارة عن تمثيل مادي للمعرفة الفكرية - الحياة الروحية والخيال - ، وذلك قصد الاستمرارية في إمكانية إعادة تركيب الفكرة في الذاكرة كلما تم إدراك الرمز، والتعبير الرمـــزي يكون إما بطريقة كاملة ومجسدة حيث أن الشكل الممثل يعبر بطريقة مباشرة عن الموضوع ، مثل المنحوتات و التشكيل بالعجائن ، أو يكون بشكل ارتباطي حيث يعبر الجزء الممثل عن الكل : فشكل اليد مثلا يرمز إلى الإنسان.، وأما النمط الثالث في التعبير الرمـــزي فيكون بالتجسيد في تمثيل أشكال المواضيع المراد التطرق إليها وذلك بانتهاج الأسلوب التخطيطي في الفنون التشكيلية.

فالتعبير الرمزي اكتسبه الإنسان منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ ، وذلك عن طريق التعبير الفني الذي كان مجرد رموز في بداية الأمر ثم تطور إلى الموضوعية في تمثيل الأشكال و الحركة ليتحول في آخر المطاف إلى التجريد.

ظهور الكتابة له علاقة وطيدة بالتقنية ، واعتمادًا على التاريخيات التقليدية للفن الصخري بالصحراء انتابنا نوع من الشك ، فبدأنا نتساءل عــن هذا الإنسان الذي تحكّم

في تقنية تشطيب أروع الأدوات الحجرية خلال العصر الحجري القديم ، وعرف في نفس الفترة حياة اجتماعية ودينية متطورة "لكنه لم يعرف الفن المنقول ولا الفن الصخري إلا أثناء العصر الحجري الحديث ، أليس هنا إشكال غير معتاد في دراســـة الحضارة المادية للإنسان عبر العالم ، الكتابة ساعدت الإنسان على تنسيق أفكاره مع أفراد المجتمع دون اللجوء إلى الحضور المستمر ، كما أنها ساعدته على التجســـيد المادي للأفكار وتخزينها كاملة غير منقوصة ، وقد أسهمت بقســـط وافر في بناء المجتمعات وتركيبها في مجموعات منظمة وذلك بتثبيت وتدوين جميع التجارب الناجحة والأنظمة المفيدة على حوامل مادية يستطيع المـــرء إعادة تطبيقها كلما أراد ذلك لكن قبل الوصول إلى مرحلة الكتابة بأتم معنى الكلمة ، وارتبط أصل الكتابة بالأســـاطير لدى جميع الشعوب التي عرفت هـــذه " الظاهـــرة الحضارية "فظهرت معظم التفسيرات الأســـطورية في وقت اكتمال نظم الكتابات المختلفة ، ومجمل الروايات تنسب أصل الكتابة إلى شخص ذي ذكاء خارق للعادة أو إلى بطل محضر للمجتمـــع أو أحد الآلهة أو إمبراطور مجسد لإرادة إلاهية أو لوحي ما. [12]

مـــرّ الإنسان بمراحل عدة كما رأينا ابتداءً من الاستقامة إلى اكتساب التقنية والكلام ثم إنشاء الفنون التشكيلية فعندما أصبحت هـــذه الأخيرة غير كافية للتعبير عن أفكار مجردة أسماء أعلام أو مجموعات أفكار مركبة حسب قواعد لغوية ، تم ميلاد استعمال رمـــوز النطق ، فمثلا في اللغة السومرية كلمتا " الحياة "و " السهم " يعبر عن كليهما بحرف " تي " ، ونظرا لسهولة التعبير الخطي عن " السهم "أكثر من مفهوم "الحياة "يستعمل رمز السهم في كتابة كلمة الحياة ، ومن هنا يتضح أن الكتابة تعبر عن ما تعجز الصورة عن الدلالة عليه.

النتائج والتوصيات والمقترحات:

أولاً - نتائج الدراســـــــة:

من خلال العرض السابق تم التوصل إلى النتائج الآتية :

1. افتقارنا إلى كتابة الرمـــوز وعلاقتها بالفنون التشكيلية والطرز الفنية التراثية بشكل خاص من وجهة وسائل الإعلام وأجهزة الثقافة.
2. كتابة الرمز تطـــوّر وثقافة ولغة العقل وفكر ونشاط إنساني وحضارة المجتمع وكل الدلائل تشير إلى أن كتابة الرموز في عصرنا الحالي يميل إلى الارتقاء.
3. كتابة الرمز يحمل هوية وثقافة وتراث الشعوب ويعمل على توصيلها ويتعرف الآخر عليه.

ثانياً ـ توصيات الدراســـــــــــة:

تعد هذه الدراســـــة من وجهة نظر الباحث والتي يعتقد بأنها ستسهم في فهم الرموز وعلاقتها بالفنون التشكيلية يكشف لنا عن عالم كنا نجهله فينشىء بذلك قيماً جديدة لرواد الفنون التشكيلية في نشر الوعي الثقافي والفني.

وفي ضوء نتائج الدراسة الحالية يوصي الباحث بما يأتي:

1. يوصى البحث بالكشف عن كتابة الرموز وعلاقتها بالفنون التشكيلية والتي بلا شك ستسهم في فهم الاحتمالات المتعددة ومحاولة رسم المعالم الأساسية للهوية الفنية والثقافية في المستقبل باعتبار أن المستقبل ليس قدرا محتوما ،حيث إن الدراسات الواعية للمجتمع وظروفه والاهتداء بمدى الواقع والوقوف على متطلباته الاجتماعية والاقتصادية.
2. أن تقوم وزارة الثقافة والإعلام بتأليف موسوعة خاصة بكل تصميمات الرموز وآثارها وفنونها وأدواتها وبالألوان ،يتم الاحتفاظ لإفادة الباحثين والمهتمين بها على قدر الإمكان.
3. من خلال هذه الدراسة يوصي الباحث إلى ضرورة تأسيس ذاكرة تاريخية للرموز سواء في الصحافة أم الإذاعة والتلفزيون أم في مواقع الانترنت ورصد الفعاليات الفنية.
4. الطموح في إنجاز بحوث علمية أكاديمية أخرى تقدم للقارئ لتسهيل اطلاعه للجهد الكبير الذي بذله الفنان التشكيلي في سنوات الريادة ،إضافة إلى السعي لتوحيد نشاط الفنان العربي المعاصر وتوحيد الجهود المتفرقة لصالح الرمز وعلاقته بالفنون التشكيلية.

المقترحات

1. حماية ورعاية الرموز محلياً وإقليمياً ودولياً وعقوبات ضد التزوير والاستغلال غير المرخص والتقليد وغيره من النواحي التي تحد من عامل المنافسة وإثبات الوجود للعلامات المستهلك وأصحاب الإنتاج.
2. نقترح بإجراء دراسات أخـــرى تختص بالبحث عن الرمـــوز ودلالاتها وذلك لتوضيح آلية التعامل معها.

الهوامـــــــــــش :

1. العولمة والثقافة: جون توملينسون – ترجمة د. إيهاب عبد الرحيم محمد – منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – العدد 354 – الكويت 2008.
2. يوسف خليفة غراب، التذوق الفني – مدخل لبنائية النقد الجمالي، دار زهراء الشرق – القاهرة، الطبعة السادسة، رقم الايداع بدار الكتب10111/ 93، l.s.b.n :977-00-6113-1، ص 186، 187 .
3. هاوزر ،آرنولد :الفن والمجتمع عبر التاريخ، ج1، ت : فؤاد زكريا، المدرسة العلمية للدراسات والنشر ،بيروت ، 1981.
4. هاوزر ،آرنولد :الفن والمجتمع عبر التاريخ، ج1، ت : فؤاد زكريا، المدرسة العلمية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1981، ص87.
5. عبد الله إبراهيم: مدخل المناهج الفنية الحديثة .المركز العربي .بيروت . 1990م .ص 22.
6. مونتاغيو ،اشلي: البدائية ،ت: محمد عصفور ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ،1982.
7. عبدالرحمن بدوي :فلسفة الجمال عند هيجل، دار الشروط، ط1 ، القاهرة، 1996 م، ص44.
8. سعد السيد العبد : التأمل الصوفى للطبيعة لإثراء الجوانب الإبداعية فى فن الرسم (رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية الفنية ،جامعة حلوان 1998م) ص 30 .
9. نبيل وديع رزوق : البيئة الشعبية وأثرها فى فن الحفر العربى المعاصر (رسالة دكتوراه غير منشورة ،كلية التربية الفنية ،جامعة حلوان 1986 م) ص 93.
10. جورج لوكاتش :معنى الواقعية المعاصرة ، ترجمة أمين العويطي ،دار المعارف ،القاهرة1971 ، ص17 .
11. خالد حجازي :معنى الإبداع في الفن التشكيلي ،مقالة في مجلة تشكيل ،رام الله - فلسطين العدد 2001م ص23- 24.

12 - ZALI (A.) ; La naissance des écritures ; in Dossiers d’archéologie n°260..., p. 10.